المعماري المهندس

عصام صفي الدين

بحث في العمران والعمارة

٢٠١٩/٩

ب:- **التصميم العمراني**:- هو الوعاء والشكل الجسدي البنائي الظاهر بوجه عام، ضمن إطار بيئي طبيعي له خواصه، وقد ينتج كله عن التصميم كفعل إرادي انساني نفعي وجمالي، وفق مجموعة متنوعة من العوامل العلمية والفنية، والتي تكون وفق منهج تعليمي واختيارات وتنسيق وتراكم خبرات تخطيطية ومعمارية وزراعية وفنية وثقافية وتراثية، متأثرا بتشريعات يتم الاتفاق عليها، وذلك بشرط تحقيق واقع جمالي مؤثر وممتع للمساكن والمزارع والعابر، وتستمر قدرة وفعالية جمالية المكان في الذاكرة بقدر صدقه واتقان التصميم.

ج:- **المنطاق**

العمراني التاريخي أو الأثري أو التراثي:- هو تلك المساحة المبنية المتوارثة، وقد تتميز بالكثير من الوظائف والأنشطة، وقد مضى عليها التتابع الزمني لفترة لها طولها الملحوظ، والذي سيساعد في تحقيق مظهر وطابع وتراثية المكان، وكيانه الذي يبدو وكما لو كان جسدا عضويا واحدا متلاحما، وتراكمت فيه التجربة البنائية بثقافتها النابعة منها، وثوابتها ومتغيراتها، وغالبا ما تكون تلك المساحة هي المرحلة السابقة لنشأة التجمع العمراني بحالته الموضع، والذي قد يتطور أو يزداد تمدده إلى صيرورة مغايرة من داخله أو خارجه، سواء أكان هذا تلقائيا أو إراديا بخطة أو بميزانية، وكل هذا ينطبق على حالات كون الكيان قرية أو واحة أو بلدة، أو عاصمة إقليمية، أو أصبح جزءا هامشيا على قائمة الاهتمام المدني، ويظل محتفظا بأهم أصول خواصه وملامحه، حاويا للعديد من الطرز المتعاقبة لتكون هي وأية اجتهادات انسانية بنائية كيانا له طابعه الخاص به، والرافع لمشاعر الإحساس بالاستمرار والمحلي، وبالجمال العقلي أو الجمال العاطفي تجاه الماضي، وتجاه صدق الثقافة المعبرة عنها خصوصيته.

ويظل هذا النطاق جميلا أيا كانت بعض السلبيات البنائية أو الاجتماعية السلوكية طالما كان توافر الوعي بالخصوصية والانتمائية، والاهتمام الواجب لشئون الحفاظ والصيانة، والحذر في التعامل بأية تعديلات أو اضافات، بما لم تتعرض لجرح له أو لإهمال أو لازدراء بدعوى المعايير غير الواعية بمفهوم التقدمية أو الحداثية.

في معمار
وهذا الحديث عن الجمال العمران والعمارة

ليس نوعاً من الرفاهية أو الترف الفكري
وإنما هو ضرورة إدراك ثقافية وتربوية وتعليمية
وإعلامية، وتشريعية، واقتصادية وتشريعية
وإنمائية وفنية، وإصلاحية مجتمعية، وبحثيه
عن متعة حياه وبحبة استقرار، وواجب إنساني.

تعرفاً" وتذوقاً" وممارسة" ودعوةً وتدعيماً".

وينبع لهذا الجمال أولاً وبالدرجة الأولى من تميز المكان أو المبنى سواء أكان منفرداً أو ضمن مجموعة من المباني، من المداخل الحسية ثم العاطفية ثم المدركات الفكرية المتعددة، ومع نظرة الإعجاب التلقائية الأولى، قد تبدأ ملاحظات توافق عموماً الشكل المرئي مع مكوناته، وحسب قدرات إدراك المرائي، ومنها قدرة الانتباه والتفاعل، والاستجابة، وحسب ثقافته واهتماماته الشخصية، وتفضيلاته الجمالية، وحسب مدخل الجمال عنده (الحسي أو العاطفي أو الفكري) أو الجمع عنده تلقائياً بين الأول والثاني، أو إرادياً مع الثالث بعد تلقائية الأول والثاني، وأيا كانت الطرز والمدارس الشكلية أو التاريخية الأقدم أو القديمة أو الوسيطة أو الحديثة أو المعاصرة (زمنياً)، أو حسب ظروف التعود، والألفة للأشكال التي قد لا تجعلها منتبهاً إلى ما يجب الإنتباه إليه، أو إن كان منشغلاً بما قد يستثير اهتماماته لحظة انشغال الذهن بما قد يكون أكثر أهمية عنده من استجاباته للجمال المرئي أو المحيط به.

ويتفاوت هذا الإحساس بالجمال أيضاً ما بين المهتم أو المتخصص في الشئون المتعلقة بالجمال، أو الشخص العادي المنشغل فقط بحياته اللحظية أو اليومية، وحسب محبة الإنسان للبحث والغوص بعمق الجمال والاستمتاع به، وما يتفاعل معه، وحسب طريقة نظرته الفاحصة أو الخاطفة..... ومهما كان انتشار القبح (والقبح في حد ذاته هو الدرجة المتدنية من الجمال)، فالقبح هو نتيجة لعدم الاهتمام بالتعرف الجمال، أو نتيجة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ومعطيات سوء التخطيط والإدارة، وانتشار تأثير رأس المال غير المثقف (الحال المصرية).

وقد يكون الجمال في مجال المعمار جاذبا في شكل تواجد وجود شجرة أو نخلة أو نباتات متسلقا... في حال ارتباط نسبي ضمن صورة بصرية واحدة، ومعلوم بالخضرة أو للنباتات من أثر للبهجة (حدائق ذات بهجة) سواء أكانت هذه أو تلك تلقائية التواجد مع الكيانات البنائي أو متواجدة من قبل أية انشاءات أو تم التخطيط لوجودها.

والجمال في الكيانات البنائية هو الجانب الثاني للوظيفية، إذ هي أولا وظيفة نفعية بحكم المطلوب، وتقضي ثانيا وظيفة جمالية بحكم ظواهرها الجوهرية والمظهرية، بما للصياغة الشكلية من تأثير على أفراد المجتمع وسلوكياتهم، ولهذا فالجمال يجب أن يكون له مجموعة من الاشتراطات التي صفة بتوافره، وحتمية التمكن من مسببات وجوده، لكن من المفترض أن يأخذ هذا الاشتراط بالدرجة الأولى مراعاة كل شئون التصميم، وعوامله المختلفة الكثيرة، ليكون الناتج جميلا تلقائية وحتمية مراعاة تلك الشئون، وإن كانت يحتاج في بعض الأحيان معالجات خاصة، لأنه فعل بشر قد اجتهد وأتقن وأحسن، في حدود إمكاناته كمفكر ومنفذ نفعي، أما الجمال فهو نسبي، وأنه ليس كما جمال المخلوقات من الله التي تتوافر فيها حتما الوظيفية النفعية والجمالية معا، دون مراجعات، إذ هي مجرد كن فيكون بكل شروط النفع والجمال، مع الاختلاف بين ما يخلقه الله كله من العدم، وما يخلقه الإنسان من الموجودات التي هي من خلق الله، بعد أن يدرس ويتمعن ويعالج ويخطط ويتقن، مستعينا بالله، وبالتأمل والتفكر والتدبر في جمالية المخلوقات ومسبباتها وكل ما هو نفعي وجمالي واشتمالي وغيره، لتزداد حساسيته في استلهام الجمال وتوفيره في كل ما يجتهد في إنجازه للحياة كفريضة.

وقد يكون الإحساس بالجمال في أحيانا كثيرة عند الغالبية من الناس تجاه العمران والعمارة بسبب عاطفية الماضي... سواء أكان المشهد للكيانات البنائي فعالا وقويا إذا كانا محافظا عليه.. أو حتى بعد طواهرهن حال التدهور أو النقصان النسبي، وهو احساس وشعور طيب، لأن الإنسان غالبا ما يكون مرتبطا بماضيه، وهذا ليس عيبا، والعيب ألا يكون أسيرا لماضيه، وإنما متأكدا عشقا عراقة الوطن والمكان، وتميزه بصفة عامة، ما

متعاقبة ، لكننا حين ندرسها ضمن مادة التصميم ، فقد كانت لاكتساب خبرات جمالية وزخرفية وفلسفية ، من حيث النسب والعلاقات والمعيار الإنساني وتكامل الفنون مع العمارة ومن مسببات الجمال ، ومن الإدراك البصري للجمال ، وكل هذا غير موجود حاليا في مناهج التعليم ، في الأربعين سنة الأخيرة تقريبا ، مما باعد بين الطالب ودراسة العمارة والمنتج المفترض ليكون جميلا ، وأصبح طالب دراسة العمارة مفتونا بالمستحدثات من المدارس والتيارات الفكرية كالتشكيل والكصيانة متغاير لا تعود عليه بمنهجيتها ، وبالوازع ، وبجمع المشيطر الضخم ، وبتقدم التقني والانشائي ، دون التمكن من فهم أسرار وأصول الوصول إلى العوامل التي تؤدي إلى الجمال كما تجلى لاتقان دراسات الانتفاع ، طبعا إلى جانب أن الطالب يتمرن ويتدرب أكثر على حلول المستقبل الأفقي ، دون اهتمام واجب بدراسات وصيانات الواجهات والقطاعات وجمالياتها ، ومدى تطابقها أو توافقها مع الحلول الانتفاعية وعواملها .

ولم يكن الأمر هكذا في الوسط المعماري المصري كتصميم ، وكاهتمام بمصالح عمارية بنائية ، إذا ما تتبعنا حركة ومسار العمارة المصرية منذ الثلث الأول للقرن العشرين وحتى أواخر سبعينيات المستديناميات ، حيث كان عظماء من المعماريين المصريين الذين كانت أعمالهم متكاملا حلاً منفعيا وجماليا (بغض النظر عن تأثرهم الشديد بالملامح الفرنسية أو الإيطالية أو الإنجليزية أو السويسرية أو الألمانية التي استمدوا منها دراستهم وذوقهم كما هو سائد في عملهم) وفهم حسين باشا المعمار ومصطفى باشا فهمي وأنطونيادس وشارل ميرديط والبير خوري وسيد كريم ، وحسن فتحي ورمسيس ويصا واصف وماكس أدريعي ، وصدراج زيتونا وصفي بك علي شوقي ، وغيرهم عشرات آخرين ... وهم أسماء على سبيل المثال لا الحصر في هذه العجالة ، بالإضافة إلى بعض من المعماريين غير المصريين الذين مارسوا المهنة في الموطن المصري ، مثل جاك هاردي مثلا الذي صمم دار القضاء العالي (نسيت ذكر عشرات أخرى كمال إسماعيل و ... ... والقليل ... وعشرات المستحدثيات والتاريخيات

(١٣) دعوة مجالس المدن أو مجالس وزراء الأحياء إلى تحفيز الأهالي تجاه العناية بمظاهر الجمال والصيانة والحفاظ والنظافة وتخصيص نشاط خاص أو إدارة خاصة تكون مهمتها أو ضمن مهامها رصد الحال ودعوة الأهالي للاستجابة في مظهر تدعيم عالي أو إداري مع منح شهادات تقديرية أو تسهيلات وزيادة خدمات للفائزين من الأحياء التي ستراعى وستعمل وستحقق المذكور من المستهدف.

(١٤) العمل على إزالة اللافتات والإعلانات الطائفية حجماً وكماً ومساحة على ظواهر وحيثيات العمران وتسببت في التشويه للكثير من القيم المعمارية والعمرانية والجمالية .... وظهرت كما المرض السرطاني الذي استشرى داخل جسم الكيانات البنائية العمرانية في العشر سنوات الأخيرة.

(١٥) عدم السماح إدارياً لما يسمى تجميل من الأفراد والمؤسسات، بدون مراجعة للمستهدف وخواصه وساحته وموقعه النسبي وعلاقاته بما حوله، وذلك وفق ما يمكن أن يكون متوافقاً مع صحة وجمالية المشهد العام.

(١٦) العمل على توافر وجود خطة جمالية للعمران العام أو الموقعي أو الموضعي ضمن خطط التشييد المستحدثة، وللكيانات البنائي الموجود فعلاً، وذلك بالتوازي مع خطط الكثافات والمرور والمرافق وغيره، وتكون هذه الخطة قائمة على معايير وحسابات بصرية وإدراكية وجمالية وغيره مما قد يحتاج إلى كتابة دليل ومعالجة خاصة.

(١٣) العمل على تفعيل دور الأجهزة المنوط بها المراجعات والترشيدات والأدلة الجمالية وظواهر العمران وذلك مثلاً كما الجهاز القومي للتنسيق الحضاري، وتمكينه أو تمكينها من الأدوار رقابياً وتشريعياً وإدارياً.

..... وغيره وغيره

هذا المكتوب هو مجرد خواطر واشارات تستحق التأمل والتعمق والمراجعة والتأويل، والتشريع والمتابعة الرقابية، والتوعية، وتخصيص الإمكانات، وكله اجتهاد، ولعله يكون نافعاً، بمشيئة الله وحكمته وبركته.

ع ص

٢٠١٩/٩/١٥

● ويظل الانسان مرتبطا بالمكان وبجهوريته العمرانية، وكذلك يظل مرتبطا بالتاريخ الذي مر به خاصة إن كان مرتبط بذلك المكان، وتزداد الفعالية لهذه الارتباطات بقدر حساسية المكان في معمارية المرئي أو المتفاعل معه كبيرا كان أو كبيرا داخليا، ومعروف أنه إذا لم يكن الانسان مستقبلا عابثا هدية وما يحيط به من عمران، فإنه يكون مستقبلا للوجدانات تلقائيا، سواء أكان ساكنا أو مزائرا أو مارا، وحيث أن الجمال متعة، فإن القبح ضيق، والعكس فإن الجمال عدوى وكذلك فالقبح عدوى، إلا أن التنافس والاهتمام بتوفير الجمال ورعايته، لا يقابله إرادياً تنافس لتوفير القبح، إذ أنه تلقائي السلوك، فلنبحث عن الجمال فيما حولنا ونؤيد وجوده، بل وندعو إليه وإلى تحقيقه، في مناهج التربية والتعليم، ومناهج التدريس والتعليم الجامعي ليس فقط في مجال التخصص للعمارة، وإنما للعموم التخصصات، ويتوقف هذا والظهور على المعلمين ودرى احساسهم أصلا بالجمال، ثم مدى قدرتهم على الاشارة إليه بالتلميح أو التصريح، وبالسلوك الشخصي كقدوة.

● ويكون الجمال أكثر تأثيرا حين تدرك قوة التعبير عن الوظيفة مع إبصار المشهد العمراني والعمارة، خاصة إذا كانت التعبير تتناول ذلك التعبير عن الثقافة الزمنية والمكانية والاجتماعية السلوكية، ويزيد من هذا أو ينقص نسبيا في حال زيادة التأمل وتتبع ذكرها وادراك كل قصد منه ... وذلك بالنسبة للشخص العادي وأيضا للشخص المتفاعل والناقد، ومن هذه المدركات المقصودة هو ادراك القيمة (راجع القيم في العمارة ... عصام) أو التوافق مع المعيار الانساني (راجع المعيار الانساني في أحكام العمارة ... عصام)، ومدى تواجد الكيانات البنائية مع بعضها البعض ومع كتلة الاطار المحيط طبيعيا وعمرانيا (سواء أكان إيقاعي شائع دارج أو كان آتي تاريخي تراثي)، وعما إذا كان بشكل ضخم مسيطر، أو لون فاقع براق لامع، أو شطحات خيال تقليد أشكال غريبة أو أشكال مقلدة لبيئات أخرى، أو مجرد الجديد.

● وكل هذه المشاعر يمكن مراجعتها وقياسها مع معاينة أي كيان بنائي سواء أكان في قرية ريفية أو صحراوية أو مدينة حضرية، أو في ميدان أو شارع أو حارة أو زقاق.

إجتهاد موجز لتصورات المعالجة:-

(١) تدعيم كافة المناهج التربوية والتعليمية في إتجاه تذوق الجمال والبحث عنه والدعوة إليه.
(٢) تدعيم المناهج التربوية والتعليمية في التأسيس المعرفي لأساسيات الرأي النقدي.
(٣) نشر الوعي البيئي من خلال أي من الأجهزة المعنية، وذلك للتحفيز على التفاعل مع الإطار الطبيعي، معاينة ورسماً "يدوياً" وتعبيراً" ما بعد العمل على إدراك الجمال ومقوماته.
(٤) نشر الوعي بصحة العمران تجاه الأقومر خاصة في جانب الحفاظ على ظواهر الجمال.
(٥) تدعيم الأجهزة الرقابية والإدارية لحال العمران خاصة في أجهزة منح التراخيص ومراجعة الرسومات والمواصفات، ثم المتابعة أثناء التنفيذ الميداني الواقعي، تجاه الأقومر والأجمل، والمطابق للرسومات (وطبعاً إذا كانت من المفترض أنها رسومات تتوافق مع الجمال المعماري) خاصة في أدسامك العمليات ومجالس المدن.
(٦) عدم السماح بتراخيص للبناء إلا بتوافر تعهد مكتوب للتطابق مع المقدم من الرسومات، والتشطيب الكامل، ولا يتم توصيل المرافق اليها ولا السماح باشغالها إلا وفق ذلك.
(٧) تدعيم التعليم المنهجي الجامعي بأساسيات وجود الجمال والإتقان والإحسان والتجديد، وطلاقة ومرونة الخيال تجاه الأقومر، ليس فقط من خلال مواد التشكيل وأسس التصميم كمنهج قائم بذاته، وإنما بتفعيل دوره في التدريب النظري والعملي مع معالجات التصميم.
(٨) العمل على زيادة انتشار النباتات الخضراء من أشجار ونخيل ومساحات خضراء، وما يمكن من أعمال جمالية فنية مسطحة أو مجسمة من مجرمي الفنانين، أو من إبداع كل من.
(٩) مراجعات ظواهر القبح الساكنة القائمة، والعمل على معالجتها بالشراك والسماح من أبناء الحي لمنطقة أو لشارع أو لسكان أو أصحاب محلات، وذلك بالرأي وبالتنفيذ الفعلي العملي منهم، وليس بمجرد طلاء الواجهات ... (راجع فيما بعد مقترحاتنا لرئاسة الوزراء).
(١٠) الاهتمام بخدمات ووسائل ومظاهر النظافة العامة.
(١١) الاهتمام بموضوع الصيانة للمباني سواء كانت منزلية أو تابعة من الملاك والشاغلين، وأيضاً من الأجهزة الرقابية والتنفيذية، وكذلك للطرق والساحات، سواء في الميزانيات أو في الأساليب أو في الوسائل، فضلاً عن التوعية بذلك وأهميته.
(١٢) عدم السماح بتاتاً بأية إضافات أو تعديلات على أي بناء قائم منتهي، سواء للأدوار العليا أو تقفيل الشرفات، أو لمحلات الدور الأرضي، وعدم السماح ببيروزاتها.
(١٤)

وهذه الإهدارات الجمالية كانت أكثرها وضوحية لأجزاء ولمباني من المتوارث الأقدس الذي يجب أن يكون له اعتباره واحترامه، فصار للقبح ألفة مع المشاهد المساكن والمآثر والعابر، وتأصل من الممارسات للمعالجات والاحترام والصيانة الواجبة، ونحسب أن القواعد الجمالية تشير بأن الكثير من الأعمال التي تتعادى زمنيا تصير نفيسة في حد ذاتها بل وتزداد قيمة بهذا القدر، فتبعث عند الشخص وعند المجتمع الواعي المثقف .... أحاسيس وقيم الجمال حتى لو كانت من الناحية الظاهرية المصاحبة للمشاهد وما تسببه من متعة الإحساس بالجمال، بل وتعتبر الذاكرة البصرية لزمانيات وجماليات وطرز وطوابع العمران، التي يجب المحافظة عليها.

وإن كان مجمل الحديث يوحي بأنه تشخيص أو إشارات لما يحيط بنا من عمران مدني، حيث تعودنا المعيشة فيها والتعامل معه إيجاباً وسلباً" فإننا نقصد محور هيئة تشكل الجمالي العمراني والمعماري بمواقعه المتعددة إقليميا وبيئيا وبما يشمله من صياغات العمارة الشعبية التي تدهورت هي الأخرى ابتداء من أوائل سنوات السبعينيات، بل واندثر بعضها جانبا وكما كبيرا، وضاع معه الكثير من إحساسات الجمال وأصوله وتعبيراته الثقافية، أيا كانت المسببات، وهي طبعا متعددة، أدناها زيادات الكتافات السكانية دون العمل على التخفيف العمرانية الواجبة الرشيدة بالانتشار والخروج إلى المساحات القابلة للتمدد الأفقي، ونقصد بالعمارة الشعبية تلك التي نشأت أصلا وقبل تأسيس الدولة المصرية بآلاف السنين، في المواضع القابلة للاستقرار، وتتمثل في الأنماط الخمسة ... ① عمارة الأرياف المصرية (عمارة ريف الصعيد وريف الدلتا)، ② عمارة الصحراء بالواحات ③ عمارة السواحل (جيوب متبقية ضئيلة في الإسكندرية ورشيد ودمياط والسويس) ④ عمارة النوبة، ⑤ عمارة الأحياء القديمة من المدن التاريخية القديمة ... (راجع أوراق عن العمارة الشعبية في مصر).

فالعمارة الشعبية الكثير من الجماليات القائمة والخاصة ما حتى مع بساطة وتلقائية التكوين والإنشاء والمواد للتأسيس وللإنشاء وللتشطيب وللتزيين، وما تحويه أيضا من عناصر ومفردات خاصة بها، تفرز جمالا وتؤكد ثقافة وتعبيرا، ما يبعث كله على إثارة الإحساس بالجمال ... حيثما كان الانبهار بما هو عمارة مدنية بظروفها.

لكن .... قد تكون كل الكتابة المسبقة هي مجرد كتابة في الهواء من بعض الهواة ، أو محبي الجمال ، والباحثين عنه في معمار العمارة والعمران ، ويظل المقبح هو المسيطر والمعتاد منذ أكثر من أربعين عاما ، والواضح على النمو الطاغي رأسيا وأفقيا ، في كيانات بنائية غير منتظمة ، لا يجمعها سياق تراكبي متوافق ، سواء في الارتفاعات أو ظواهر الدقان ، أو الألوان ، أو الاهتمام بالجماليات ، سواء في المنطقات التاريخية الأقدم ، أو في المنطقات المستحدثة ، ولأسباب متعددة ، ويظل طالب دراسة العمارة محتارا بين ما يتعايش معه ، وما يحيط به ، وبين ما يتلقاه جزئيا من مثاليات وأشكال ، أو تقليدا سيئا لطرز تربجينية من الطرز الكلاسيكية مجافية لأصول ونسب وقواعد الإنشاء والجمال الأصلية ، وبعيدا عن إستلهام جماليات إيجابيات التراث الجميل بمحليته التي شهد لها الجميع من أساتذة فن العمارة الأجانب ، ويظل رأس المال غير المثقف هو المسيطر ، والمتداول هو الأقوى من المعماري الذي إفتقد المكانة الواجبة ، إما لأنه لم يهتم ببناء نفسه وشخصيته وتنمية مهاراته ، وإما أنه قد إكتفى بالقليل والقاصر من المناهج الدراسية ، أو أنه إنساق خلف الحاسب الآلي دون التحصن بأهمية التعامل المستمر على جدية الإبداع وجمالياته ، والمتمثلة في الاهتمام بالفنون وتكاملها ، ومهارات الرصد والتسجيل بالرسم اليدوي ، والاستماع الواعي لأنواع ومستويات الموسيقى المحلية الراقية والعالمية التقليدية .

وقد يظل الأغلب الأعم من الناس ... خاصة من هم في السهو عن أهمية صحة العمران ، الذي له أهمية في صحة الإنسان ، وقد لا يستشعرون جمالا ولا يبحثون عنه ، إما بالألفة إلى القبح الذي تعودوا عليه أو الذين هم بعض أسبابه ، سواء بسبب ضعف وقصور مناهج التربية والتعليم بمراحله البينية وجمالياتها أو التربية الفنية في حد ذاتها ، وذلك الكلام في الهواء .

متطلبة من حيث التصميم المعماري في حد ذاته، أو الأحوزة والساحات البينية المناسبة لصحة العمران والإنسان، أو مدى توافر وجود مساحات حدائقية خضراء، فضلاً عن عدم وجود أية مناظر جمالية فنية مثل تماثيل أو أشكال جمالية تجريدية، أو نوافير أو ظلات، أو أثاث مقاعد حدائقية، أو ممرات مناسبة تخطيطياً، وكلها للأسف مبانٍ خرجت من مكاتب إدارات حكومية فكراً وتصميماً وتخطيطاً ينقصها الوعي بأهميات أصول وجماليات العمران والعمارة، وطبعاً يتم ذلك بعيداً عن أساتذة وفنانين العمارة من المعماريين والتشكيليين، لا بالتصميم ولا بالمشورة، مما أدى إلى كوارث زراعة أجسام مرتفعة في الجسم العمراني المصري، سواء ما كانت مزمعة في مناطق تاريخية تراثية أو ما كان في مناطق حديثة نسبياً أو على أطراف هذه أو تلك، وتكرر هذا كثيراً عبر سنوات في العمران المصري.

● وأيضاً فإنه ومع سنوات نهاية الستينيات تكاتفت عدة ظروف محلية وإقليمية سيطرة عظمى، رأفكر المعماري والتخطيطي والعمراني، وضاعت معها هيبة المعماري ومكانته أمام سيل وحصائل المقاولات والإدارات الهندسية بالمحافظات والمحليات، إلى جانب الإهمال في تطبيق اللوائح والنظم والقوانين، وعدم تجريم أن أهمال تصميمي أو مخالفات، أو تجاوزات للإشغال وللارتفاعات ولوظائف المناطق وظائف المباني.

● وبالتالي تزامنت مع هذا هالات من الأضواء على ما أطلق عليه مشروعات حلول مشكلات الإسكان، كأنجاز حكومي يفتقد أصول الدراسة الاجتماعية والجمالية.

● ومن الملاحظ أيضاً أن كل هذه المسميات والمستحدثات سواء ما كان منها مشروعات للإسكان أو للأبنية التعليمية، أو أي لم تراعِ أية خصوصيات للتوافقات مع ملامح الطابع الإقليمي أو المحلي أو القومي، والتي تخصص كل منها موقعها، فصارت إنشاءات نمطية قبيحة التصميم متكررة رتيبة، وقد انتشرت كالمرض في الجسم العمراني المصري، أثرت على مزاجية ومشاعر وثقافة المواطن تأثيراً سلبياً، بخلاف ما صار من تعدي إجرامي على الكثير من المباني ذات القيمة التراثية أو الأثرية، أو التذكارية، بالهدم أو بالإضافة الجائرة، أو بتغيير الوظائف الأصلية.

● ومما يزيد الطين بلّة أن الاهتمام كل الاهتمام هو بالمستحدث أيا كان، دون وعي ثقافي أو دون وعي تعليمي تربوي، ودون إهتمام جاد في التعليم المعماري بضرورة التواصل مع أي بيئات التراث، خاصة في الجانب الجمالي، رغم وجود أي بيئات أخرى كثيرة ومتعددة طبعا (راجع أي بيئات التراث) ، فالدور الثقافي قاصر بمحتواه وإدارته عن الإشارات والتنبيهات للقيم الجمالية وجدواها ومسبباتها، وكذلك الدور التعليمية والتربوية بقصور أيضا في ذلك، وإن التعليم المعماري فينقصه الكثير والأكثر في مجال التواصل الرشيد مع القيم الجمالية التراثية المحلية، والتركيز فيه هو على الصيغ المستوردة، والتي سرعان ما تتلاشى الى صفة برع، ولا يعني هذا الانقاص من قيمة الحديث إنما يعني أهمية التحصن بما هو جمالي محلي ومسبباته أولا ثم الانطلاق الى التعرف على أي شيء آخر، دون إتباع وخلط بأنه حديث أو أنه الأفضل أو أنه التعبير عن المعاصرة دون فهم للثوابت والمتغيرات، وهو المنتشر من إعجاب بكل ما هو حديث أو معاصر.

● وإن كنا الآن نتحدث عن الجمال كتوصيف ومشاعر، وملامح، وشخصيات بصرية للأقاليم والمواضع، فهو من خرط ما نفتقده، وإن كان في السابق وحتى سنوات الستينيات وغيرها قد سبقة لم يكن هناك حديث عن الجمال بهذه الجوانب التي نتعرض لها، وإنما كان الحديث عن الجمال (منذ أن أصبح فكرا نظريا ومنهجيا منذ العصور الوسيطة) هو الاستمرارية إرساء للقواعد والأسس والتوجهات والمناهج الدراسية، ولم تكن المشكلات الجمالية تنحو منحاه القبح والجمال كالذي نتعايش معه الآن، لدرجة الاحتياج للتنبيه والاحتياج لتأسيس الأجهزة المكلفة وتفعيل قدراتها وإرشاداتها، وكان التعليم المعماري ... إذا كانت تحفظات تنطلق عليه من ناحية التغريب وتقمص البيئات الأجنبية ... كان يعني بالنواحي الجمالية، فقد كنا ندرس جماليات المعمار وكل الطرز التقليدية (الكلاسيكية) وفنون التشكيل والرسم والنحت للمناظر الطبيعية والمدنية ضمن الدراسة المنهجية، وكانت دراستنا في التصميم المعماري عند أوائل الالتحاق في السنة الأولى والثانية وهذا من الثانية برع ما يتعلق بالجمال حيث الطرز التقليدية (الكلاسيكية) ... ليس كتاريخ معمارية فتاريخ العمارة له توجه معرفي مختلف نسبيا من حيث دراسة العوامل والظروف التي أدت إلى تاريخ للعمارة وطرز متنوعة

ز:- **الطراز** :- هو مجموعة مواصفات شكلية معينة خاصة بما تحويه من نسب وزخارف مرسومة أو مجسمة، معبرة عن قيم جمالية أو رمزية أو عقائدية أو شخصية، ومنفذة بمواد معينة متوافقة مع المطلوب نفعيا وجماليا، معبرة عن ثقافة اجتماعية خاصة بنطاق مكاني أو زماني ما، ومعبرة عن ذوق سائد وتفضيل جمالي عام، ويطلق الطراز على العمارة والملابس والأثاث وأدوات المعيشة اليومية، ملتسوبا في تسميته إلى عصر معين أو حاكم أو مكان أو فكر أو شعب أو قبيلة، أو ثقافة، أو مدنية، أو حضارة، أو في عصر زمني محدد ببداية ونهاية.

هـ:- **الطابع** :- هو المحصلة التراكمية لمجموع الظواهر والسمات والخصائص التي اجتمعت في ذاتية واحدة، مالتحدد ملامح بيئة عمرانية بنائيا وانشائيا، وربما يتميز عمران أو معمار عن الآخر سواء أكان قرية أو واحة، أو بلدة أو مدينة أو إقليم أو عاصمة، أو مجموعة مبانى في موقع خاص أو مسار طريق، وهذه المحصلة لها أبعادها منها ما هو مادي بنائي أو ثقافي أو مدني أو حضاري، وتستقر تلك المحصلة التراكمية في الصورة الذهنية للرائي، كما تطبع قوى الشخصية بصورة مميزة بمواصفاتها وعواملها المستمرة زمانيا بقدر الحفاظ الواعي على الملامح والخصائص بتفردها وتميزها الإبداعي الشكلي لتتوثر في الوجدان الإنساني للساكن والزائر والعابر، ما شعر في عقله وحكمته، وتظل قوة فعالية التأثير قوية بقدر قوة رسوخ الملامح والخصائص وتميزها وتفردها... والطابع يحوي ضمنا كل ما تتابع وجوده من ظواهر بنائية سواء ما كان منه طرزا أو مدارس أو أساليبا لعدة عصور وأزمنة متتالية، بما في ذلك أي اجتهاد إنساني

---

* **أما الجمال** ... فنوجزه كالتالي :- هو ذلك التأثير البصري أو المعنوي الناتج عن فعل أو شكل، وتستشعره الحواس وأدركها الإبصار، ثم الإدراك البصري، وقد يصاحبه الميل العاطفي، وتكون نتيجة الشعور بالراحة الرافعة على حسن السلوك وسمو الأخلاق والصفاء النفسي، والرغبة في الاستزادة، وفي العمارة فمدخله أولا الجمال الحسي ثم العاطفي ثم الفكري الوظيفي أو التجريدي، من خلال هيئة الشكل العام وما تحويه من علاقات أو نسب أو حدود أو خطوط أو فتحات وأفنية أو رأسيات، وملامس وألوان ومواد مستعملة، وما يبدو من تعبير عن ثقافة مكان أو طبيعة أو مجتمع، وما قد يبدو من إتقان. وغيره. ويختلف إدراك ذلك الجمال باختلاف قابلية الرائي للتفاعل مع الجمال طبقا للنشأة والتربية والتعليم.

أدى أن يكون ذلك بسبب الجمال الناتج عن الإتقان والتجويد، الذى كان فى عمار الأزمنة الماضية، والذى نتج عن زخرة وخلاصة الفنانين من المعماريين ومن التشكيليين والمحترفين عبر التاريخ الأقدم وحتى مشارف الحديث، حين كان المنوط بهم إحتراف البناء وإنجازه ليس لمجرد رزق عمل وإنما لأداء رسالة حياة وجمال دون تفريط، وحتى قبل أن توجد مدارس وأكاديميات وجامعات لتعليم العمارة والبناء، فكان الناتج مؤثرا ومعبرا وفعالا، وقبل سيطرة طموحات التغيير وإثبات الذات الخاصة بالمعمارى، أو سيطرة قاموس المال غير المثقف، وقبل سيطرة إفتعال جماليات الشكل على منطق عوامل التصميم، هذا إلى جانب أن كل المجتمع كان متمتعا بجمال من السمو الثقافى والرغبة فى وجود متعة الجمال، وفق ضمير مجتمعى حاضر ... وحتى قبل ظهور التشريعات واللوائح التنظيمية، وقبل استخلاص القواعد والأسس الثقافية التى توافرت فى الأعمال بعد قرنا ثم صبرها فى نظريات ومحددات ونماذج يحتذى بها تقليدا قبل أهمية طلاقة الإبداع ومرونته الصادرة عن فنانين يمتهنون العمارة.

وذلك كله طبعا قبل التدهورات الناتجة عن التشبع المكانى بتمركز الأنشطة وازدياد الكثافات السكانية، والكثافات البنائية، والمرورية، وتآكل المسطحات الخضراء، وندرة توافر العناصر الجمالية الفنية المتعلقة بالطبيعة المصاحبة للعمران الجميل وللعمارة المتكاملة عضويا مع الفنون المتعلقة بها، فكانت فنا معماريا قبل أن تصل لكونها هندسة ومقاولات إنشاء، وتكرار نمطى أفقى ورأسى.

وهى ظاهرة لتدهورات الجمال فى الكثير من العمران والعمارة بمصر خاصة فى المدن، وقد تكون فى دول أخرى قليلة متشابهة نسبيا مع الحال المصرية من حيث متدهورات العمران وبسبب تنوع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.

ولكن هذا التدهور فى الشكل الجمالى للعمران والمعمارى قد بدأ أكثر وضوحا وتأثيرا سلبيا فى العمران المصرى ابتداء من سنوات الستينيات خاصة فى تلك المناطق التى استحدث فيها ما يسمى آنذاك المساكن الشعبية، والتى تخلو تماما من أى مظهر جمالى، فضلا عن عيوبها فى عدم دراسة حجم وعدد أفراد الأسرة، ودون علاقات بنائية

قولوا للناس حسنا

والعمارة هي لغة، وإن كانت شكلية جسدية
ولكنها لا تكون جميلة إلا مع الاتقان
الواجب لها، ثم الاحسان والتجويد

موجز كلمات من جوانب محاضرات عبر أربعة وخمسون عاما.

مدخل:- من خلال التعريفات والمفاهيم
مما اجتهدت فيه سابقا وحاليا..... نتيم تحديد المقصد المعنوي

١ • تعريف العمران:-

هو ذلك النطاق المساحي من الأرض الذي استعمره الإنسان بالبناء والاستزراع، وفق ما احتاجه لممارسة الحياة واستمراريتها وبأحسن جدوى ممكنه طبقا لإمكاناته، وتم توارثه عبر الزمن ما معبرا عن ثقافته تجاه تواقفه مع ظروفه الطبيعية ما ووفق الميزة المكانية الموضعية والاستقرار والأمن ما سواء تركان النطاق ريفيا أو صحراويا أو ساحليا، ومنه ما قد يتحول تدريجيا عبر زمن ووفق ظروف إلى كونه قرية أو بلدة أو مدينة ما أو عاصمة إقليمية تستقطب وتتمركز فيها المصالح والأنشطة، إلى ظواهرها المدنية أو الحضرية.

٢ • مفهوم العمران:-

هو أية بيئة قد تنوأها وتشيدها الإنسان ما في موقع تلقائي النشأة أو إرادي الخطة ما بما يحويه من مميزات وإمكانات إستقرار على ممارسة الحياة وأنشطتها الحيوية ما وتم توارثه عبر زمن ما سواء ظل على بساطة تكوين النشأة ما أو محلية الموضع ما أو تزايدت فيه الكثافات البشرية والبنائية والعلاقات المتراكبة ما معبرا عن ثقافة المكان والسكان إيجابا وسلبا ما وفق نوعية واهتمامات سلوكيات الإنسان ما بما يبدو على شكلية المظهر.

* وتتغير أو تتعزز قيمة وفعالية التعريف والمفهوم بما يتوافر من مؤثرات خاصة تتضح شكليا وسلوكيا ووظائف نفعية أو جمالية ما أو مكتسبات عبر ظروف ومعطيات.